سبل النجاح والتفوق في الدراسة الجامعية في منظور شرعي

Doi: 10.23918/ilic2020.42

د. عبد القهار صبري عبد الله المسلميني
مدرس/ فاكولتي العلوم الإنسانية / جامعة زاخو / دولة العراق / إقليم كوردستان.
Abdulqahar.abdullah@uoz.edu.krd

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بواسطة الملك جبريل –عليه السلام-، على النبيّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بأن نؤمن به، وأن نهتديَ بهديه، وأن نتخلَّق بأخلاقه، وأن نتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فالله سبحانه وتعالى أنزل كتابه مباركاً وألزمنا بالتدبُّر في آياته في قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ص:٢٩.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين الذي أكرمه الله تعالى بنزول الذكر عليه، وكلَّفه بالبيان للناس ما أنزله عليه رجاء تدبرهم وتفكرهم، بقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل:٤٤.

وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين الذين آمنوا بالله تعالى وتركوا أوطانهم مهاجرين في سبيله، وقاتلوا لأعلاء كلمته، ونصروا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ودافعوا عن الإسلام والمسلمين، وكانوا حريصين على حفظ القرآن وفهمه، وعلى حفظ أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفهمه.

أما بعد:

فيعد القرآن الكريم المنبع الصافي الذي لا ينضب أبداً، مهما استقى منه بل هو متجددٌ مهما تقادم الزمان، وهو كلام رب العالمين، ومعجزة محمدٍ - صلى الله عليه وسلم – الأبدية إلى يوم الدين، لذا لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي معجزاته، وهو الكتاب الكامل الوحيد الذي لا يوجد فيه نقص ولا اختلاف، وقد قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء:٨٢.

وفي هذا البحث دراسة منهجية علمية لأهم سُبُل أسباب النجاح والتفوق في الدراسة وخاصة (الدراسة الجامعية) في منظور الشرع الإسلامي، ولا شك أن جميع الأديان السماوية شجعوا العلم والمعرفة ولكن الدين الإسلامي نال قصب السبق في ذلك، ومن أبرز الدليل على ذلك أن أول كلمة نزلت من السماء وهي كلمة (إقرأ) فهذا أكبر دليل على أن الإسلام دين العلم والمعرفة والتقدم الحضاري إلى قيام الساعة.

وأن النجاح والتفوق مطلبان لكلِّ إنسانٍ في هذه الحياة، لأن من فطرة الإنسان حُبَّ النجاح والتفوق في حياته، وفي دراسته ومدرسته، ومع أهله وعائلته، وعمله وتجارته، ووظيفته وإدارته، كي يكون مرضيَّاً عند أهله وعائلته والناس أجمعين، وأن الناس جميعاً يسعون في هذه الحياة لتحقيق الهدف المرجُوّ ويُبذلون من أجله الجهد والوقت، ومهما حصل الإنسان العلم ودَرَسِ وجَدَّ واجْتهدَ فلنْ يصل إلى نهايته، لقوله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) يوسف:٧٦. ولكن بحرصهم واستمرارهم ومثابرتهم في طلب العلم يتحقَّقُ لهم الهدف المرجُو بإذن الله تعالى، ويعلو بالحسن نحو الأحسن.

وفي الحقيقة أنَّ الدراسة المدرسية أو الجامعية وطلب العلم والمجاهدة في تحصيله من أفضل الجهاد في سبيل الله تعالى كما ورد في الحديث، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:" مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ"[1].

ولشرف هذه الدراسة اخترت هذا البحث المتواضع المسمى بـ(سُبُلُ أسباب النَّجاحِ والتفوقِ في الدراسةِ الجامعية في منظور شرعي) من أجل أن يستفيد الطلاب جميعاً وخاصة الطلبة في الدراسة الجامعية بأن يرفعوا إرادتهم إلى الأفضل، وهمتهم نحو الأحسن، بصرف طاقاتهم وأوقاتهم الثمينة في تحصيل كافة العلوم التي فيها خيريِ الدنيا والآخرة.

أهمية هذا الموضوع:

أولاً: أنَّ هذا الموضوع يُحفِّزُ الطلاب دائماً إلى النجاح في دراستهم المدرسية والجامعية.
ثانياً: بدون شك أنَّ التقدمَ العلميَّ والحضاريَّ كلُّهُ بسبب العلم والمعرفة.
ثالثاً: وأنه يمنح الطلاب ليغوصوا في بحر العلم والمعرفة من أجل أنوار العلوم والمعارف.
رابعاً: يشجِّعُ الطلبة بالتمسك بضروريات أسباب النجاح والتفوق في دراستهم.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب كثيرة دفعتني إلى كتابة هذا البحث ومن أهم تلك الأسباب ما يلي:

١- أنه متعلَّقٌ بالشرع، والمصدر الرئيسي للشرع هو القرآن الكريم والسنة النبوية فحبي لهما كثير.
٢- أنه موضوع متعلق بالعلم، ولا شك أن له الشرفَ العظيمَ في الدنيا والآخرة.
٣- أن هذا الموضوع سببٌ رئيسي لنجاح الطلاب في دراستهم الجامعية.
٤- أنه سبب رئيسي لتنوير الدرب أمام الطلاب نحو الأحسن والأفضل.

[1] الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (٢٧٩هـ)، (الجامع الصحيح سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (٢٠٠٠م). رقم الحديث(٢٦٤٧)، ج٥، ص٢٩. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حسن غريب.

منهج هذا البحث:

أولاً: المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي: فسأرجع إلى القرآن الكريم آية آية لاستخلاص الآيات بأسباب النجاح، وسوف أرجع إلى أقوال المفسرين لبيان معانيها، كما سأرجع إلى كتب اللغة لبيان معاني بعض الكلمات التي احتاجوا إلى معانيها، ثم إلى أقول السلف الصالح من الصحابة - رضي الله عنهم -، والتابين - رحمهم الله -، ومن بعدهم.

ثانياً: المنهج الموضوعي: فهو لانتقاء موضوعات البحث عبر مباحثها، ومطالبها، وترتيبها حسب الخطة الموضوعة لذلك، ووضع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ومن آثار وأقوال السلف الصالح من المفسرين وغيرهم من علماء الأمة.

مصادر هذا الموضوع:

لقد اعتمدتُ في إعدادِ هذا البحث على مصادر كثيرة ومن أهمها:

أولاً: القرآن الكريم، خصوصاً الآيات المتعلقة بالعلم والحكمة والبعد عن الجهل.

ثانياً: أشهر كتب التفاسير والأحاديث المعتبرة وكتب السِّيَرِ والأخلاق الإسلامية.

ثالثاً: كتب التراجم، ومصادر اللغة، والشعر والأدب.

ولبيان هذا بصورة علمية وأكاديمية سَتُقَسَّمُ خطةُ هذا البحثِ على النحو الآتي:

قُسِّمَ البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة مع ثَبَتٍ للمصادر والمراجع.

أما المقدمة فقد بيَّنتُ من خلالها: أهميةَ الموضوعِ، وأسبابَ اختيارِهِ، ومنهجه، ومصادره، وخطةَ الدراسةِ فيه.

المبحث الأول: في مفهوم العلم وفضله في القرآنَ والسنة ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم العلم لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: فضل العلم في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: فضل العلم في السنة النبوية.

المبحث الثاني: الأسباب النظرية للنجاح والتفوق في منظور الشرع

المطلب الأول: الإخلاص والنية الحسنة.

المطلب الثاني: معرفة قيمة الوقت.

المطلب الثالث: التزين بالتقوى من الله تعالى.

المطلب الرابع: التوكل على الله تعالى.

المطلب الخامس: الفطنة والذكاء في الدراسة.

المبحث الثالث: الأسباب العملية للنجاح والتفوق في منظور الشرع

المطلب الأول: الاجتهاد وصرف الطاقات.

المطلب الثاني: الصبر والتحمل على الدراسة.

المطلب الثالث: المسابقة في تحصيل العلم.

المطلب الرابع: علُوُّ الهمة والإرادة.

المطلب الخامس: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

المطلب السادس: الابتعاد عن جميع الذنوب.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: في مفهوم العلم وفضله في القرآن والسنة ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم العلم لغة واصطلاحاً.

- **العلم لغة:** هو نقيض الجهل ويأتي بمعنى اليقين والمعرفة.

وقال الفيومي-رحمه الله-:" الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إذَا تَيَقَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ"[١] .

وقال ابن فارس-رحمه الله-:" علم العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره من ذلك العَلامة، وهي معروفة، والعَلَم: الراية، والجمع أعلام. والعَلَمُ: الجَبَل، وكلُّ شيءٍ يكون مَعْلَماً: خلاف المَجْهَل" [٢].

وجاء في مختار الصحاح:" وعَلِم الشيء بالكسر يعلمه عِلْماً عرفه، ورجل عَلاَّمةٌ أي عالِمٌ جدا والهاء للمُبالغة و اسْتَعْلَمَهُ الخبر فأعْلَمَه إياه و اعْلَمَ القصَّار الثوب فهو مُعْلِمٌ والثوب مُعْلَمٌ و أعْلَمَ الفارس جعل لنفسه عَلاَمَة الشجعان و عَلَّمَهُ الشيء تَعْلِيما فتَعَلَّم وليس التشديد هنا للتكثير بل للتعدية ويُقال أيضا تَعَلَّمَ بمعنى أعلم"[٣].

وقال ابن منظور-رحمه الله-:" والعِلْمُ نقيضُ الجهل عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نَفْسُه ورجل عالمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ فيهما جميعاً. قال سيبويه: يقول عُلَماء من لا يقول إلاّ عالِماً. قال ابن جني: لمَّا كان العِلْم قد يكون الوصف به بعدَ المُزاوَلة له وطُولِ المُلابسةِ صار كأنه غريزةٌ ولم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان مُتعلِّماً لا عالِماً، وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً عَرَفْتُه. قال ابن بري: وتقول عَلِمَ وفَقِهَ أي تَعَلَّم وتَفَقَّه، وعَلُم وفَقُه أي سادَ العلماءَ والفُقَهاءَ، والعَلاّمُ والعَلاّمةُ النَّسَّابةُ وهو من العِلْم"[٤].

---

[١] الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري(٧٧٠هـ)، (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت، (مادة: ودي) ج٦، ص٣٢٣.

[٢] ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (معجم مقاييس اللغة)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، سنة الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (مادة: علم)، ج٤، ص١٠٩.

[٣] الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، (مختار الصحاح)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٣،(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ج١، ص٤٦٧.

[٤] ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي(٧١١هـ)، (لسان العرب)، دار صادر- بيروت، (مادة: رحم) ج١٢، ص٢٣٠.

تبين من خلال هذه التعاريف التي نقلناها من كتب اللغويين، هو أن العلم ورد على معانٍ عديدة متقاربة بعضها من بعض، والمعنى الأقرب إلى ما أردناه هو بمعنى المعرفة واليقين والتفقه بعد الجهل، والله أعلم.

- **العلم اصطلاحاً:**

وقال الجرجاني-رحمه الله-:" العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به. وقيل: زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه. وقيل: هو مستغن عن التعريف. وقيل: العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات. وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشيء. وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول. وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة. وقيل: ما وضع لشيء وهو العلم القصدي أو غلب وهو العلم الاتفاقي الذي يصير علماً لا بوضع واضع بل بكثرة الاستعمال"[١].

وذكر ابن القيم-رحمه الله- في مدارج السالكين:" وقال صاحب المنازل رحمه الله: العلم ما قام بدليل ورفع الجهل، يريد: أن للعلم علامة قبله وعلامة بعده فعلامته قبله: ما قام به الدليل وعلامته بعده: رفع الجهل"[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله-:" والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به علم ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- من البينات والهدى، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح"[٣].

وإن حجة الإسلام يعني الإمام الغزالي(٥٠٥هـ) - رحمه الله - يُقَسِّمُ العلوم إلى قسمين:

القسم الأول: علوم شرعية: وهي المقصودة بالبيان، وتنقسم إلى: أصول، وفروع، ومقدمات، ومتمِّمات.

فالأصول: كتابُ الله تعالى، وسنةُ رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وإجماعُ الأمة، وآثارُ الصحابة. **والفروع:** ما فُهِمَ من هذه الأصول من معان، مثل: كتب شروح الأحاديث، وكتب الفقه والشريعة. **والمقدمات:** كتب الآلات التي بها نفهم القرآن والحديث، مثل: علم النحو والصرف والبلاغة واللغة. **والمتممِّات:** كعلم القراءات والتجويد، وعلم أسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم، فهذه هي العلوم الشرعية وكلُّها محمودة.

القسم الثاني: علوم غير شرعية: وتنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح.

فالمحمود: ما يرتبط ويتعلق به مصالح أمور الدنيا، كعلم الطب، والحساب، والصناعة، والزراعة، والحياكة، والخياطة، والسياسة، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء، والحاسبات، والتجارة، واللغات، وغير ذلك. وهذه العلوم التي لا نستطيع الاستغناء عنه في قوام أمور الدنيا، لذلك جعلها من فروض الكفايات، أي: لو خلا البلد عمَّن يقوم بها حرج أهل البلد، أي: أثموا، أما إذا قام بها البعض سقط الفرض عن الآخرين. **وأما المذموم:** كعلم السِّحرِ والطلسمات والشعوذة، والذي يتكلم بالغيب والنجوم، والأبراج. **وأما المباح:** فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، أي ليس فيها أشياء محرَّمة شرعاً، وعلم التاريخ والأخبار[٤].

أقول: أنَّ العلماء – رحمهم الله -، ذكروا لنا تعاريف كثيرة بعضها متقاربة إلى بعض، بل بعضها قريبة إلى المعنى اللغوي أيضاً، وهو أنَّ العلم ما قام بدليلٍ ورفع الجهل، وأنَّ الغزالي -رحمه الله- قسَّم العلوم إلى شرعية وغير شرعية، ثم قسَّم الشرعية إلى أصول، وفروع، ومقدماتٍ، ومتمماتٍ، ثمَّ قسَّم غير الشرعية إلى محمودٍ، ومذمومٍ، ومباحٍ، ولكن التعريف الأنسب إلى ما أردناه هو العلم الشرعي، والمراد به العلم الذي أنزله الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى، أي: العلم الذي فيه المدح والثناء، والله أعلم.

المطلب الثاني: فضل العلم والقراءة في القرآن الكريم.

إن جميع الأديان السماوية مدحتِ العلم وحثَّت الناس على القراءة والتعلم بالعلم، وخاصة إن الدين الإسلامي أكثر فأكثر، والدليل على ذلك أن أولَ آياتٍ نُزِلَتْ من السماء هي بداية سورة العلق، وأول كلمة من بداية هذه السورة هي كلمة (إقرأ)، بمعنى هي أول كلمة نُزِلَتْ من السماء، والقصة مشهورة في الصحيحين أن جبريل -عليه السلام-، أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- وغطَّه حتى بلغ منه الجهد ثم قال له:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق:١-٥.

قال السمرقندي –رحمه الله-:" قوله: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ يعني: اقرأ بعون الله ووحيه إليك، ويقال معناه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، كقوله تعالى:" وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ " الكهف:٢٤. يعني: اذكر ربك الذي خلق الخلائق"[٥].

وقال ابن عطية –رحمه الله-:" ومعنى هذه الآية، اقْرَأْ هذا القرآن بِاسْمِ رَبِّكَ، أي ابدأ فعلك بذكر اسم ربك، كما قال تعالى:" ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ " هود: ٤١. هذا وجه، ووجه آخر أن المعنى: اقْرَأْ في أول كل سورة، وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم، ووجه آخر أن يكون المقروء الذي أمر بقراءته هو بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، كأنه قال له: اقْرَأْ هذا اللفظ"[٦].

---

[١] ينظر: الجرجاني: علي بن محمد بن علي(٨١٦هـ)، (التعريفات)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ)، ص١٩٩. وينظر: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم)، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة، الطبعة: الرابعة، ج٧، ص٢٩١١.

[٢] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تحقيق : محمد حامد الفقي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، (١٣٩٣ – ١٩٧٣)، ج٢،ص٤٧١.

[٣] ابن العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، (كتاب العلم)، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص٩.

[٤] ينظر: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (إحياء علوم الدين)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ج١، ص١٦.

[٥] السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (٣٦٧هـ)، (بحر العلوم)، تحقيق: د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ج٣، ص٥٩٨.

[٦] ينظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١،(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، ج٧، ص٤٦.

ومن فوائد هذه الآيات الكريمات:
١- الأمر بالقراءة. ٢- وقبل القراءة أن تبدأ باسم الله؛ وجاء في الحديث عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَن رَسُول الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم - قَالَ: «كل كَلَام لَا يبْدَأ فِيهِ بِالْحَمْد فهو أبتر"[١].
وفي رواية "فَهُوَ أَجْذم»[٢]. ومعنى أجزم وأبتر: أي مقطوع البركة. ٣- الخالق هو الله وحده وليس غيره.٤- عدم التكبر بهذا العلم والمعرفة فعليك أن تعرف بأنك خُلِقْتَ من علق أي دم جامد.٥- عدم العجز بحجة أنا لا أستطيع أن أقرأ، أو أنا لستُ أهلاً له، وأنه صعب وكذا وكذا، فالله تعالى يأمرك بالقراءة ويقول عزَّ وجلَّ: أنا ربٌ كريم سأعلمك. كما جاء في الشِّعر: لاَ تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ ٦- أيضاً أنَّ الآية دليل على شرف القلم، والله تعالى أقسم به في القرآن الكريم، فقال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) القلم:١.
والله تعالى رفع قدر العلماء على سائر المؤمنين في قوله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة:١١. وقال أبو بكر الجزائري –رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" فيرفع الله الذين آمنوا منكم درجات بالنصر والذكر الحسن في الدنيا وفي غرف الجنة في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجاتٍ عالية لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل" [٣].
والعلماء هم أكثر الناس خشيةً من الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فاطر:٢٨. قال الإمام الطبري – رحمه الله في تفسير هذه الآية:" يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه"[٤].

المطلب الثالث: فضل العلم في السنة النبوية.

العلم مقدَّمٌ على القول والعمل، وقد ترجم الإمام البخاري –رحمه الله- في صحيحه باباً بعنوان (باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، مصداقاً لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ}محمد:١٩. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ[٥]. إذ أنَّ العلم شرط لصحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به؛ لأن العلم مصحِّ للنية التي يصح بها كل قول وكل عمل، فمن قال بغير العلم ضلَّ وأضلَّ[٦].
وإنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قد حثَّ الأمة على طلب العلم ولزوم الأخذ به، بل قد أوجبه على المسلمين أن يعرفوا الضروريات من العلم والمعرفة في أمور دينهم، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ:" طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[٧]. ومن عادة النبي-صلى الله عليه وسلم-، أنَّه إذا أراد أن يفُكَّ بعض الأسرى من غير المسلمين شَرَطَ عليهم أن يعلِّموا بعض أولاد المسلمين القراءة والكتابة ثمَّ سرَّحوهم، وأيضاً من عادته-صلى الله عليه وسلم-، حينما بعثَ بعثاً أو سريةً طلب منهم فاستقرأهم، أي كلُّ واحد يقرأ بما معه من القرآن، فإذا كان فيهم احد أكثرهم حفظاً جعله أميراً ولو كان أصغرهم سِنَّاً.
فَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ قَالَ: كُنَّا بِحَاضِرٍ يَمُرُّ بِنَا النَّاسُ إِذَا أَتَوُا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا مَرُّوا بِنَا فَأَخْبَرُونَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :كَذَا وَكَذَا وَكُنْتُ غُلاَمًا حَافِظًا فَحَفِظْتُ مِنْ ذَلِكَ قُرْآنًا كَثِيرًا فَانْطَلَقَ أَبِى وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِى نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَلَّمَهُمُ الصَّلاَةَ فَقَالَ: « يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ ». وَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ فَقَدَّمُونِى فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَعَلَىَّ بُرْدَةٌ لِى صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّى، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ النِّسَاءِ: وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ. فَاشْتَرَوْا لِى قَمِيصًا عُمَانِيًّا فَمَا فَرِحْتُ بِشَىْءٍ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحِى بِهِ فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ"[٨].
وقد ذكر النبيُّ -صلى الله عليهم وسلم- بأن من خرج في طلب العلم والمعرفة ابتغاء مرضاة الله تعالى يسَّر الله له طريق الجنة كما ورد في الحديث، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِيْ بِهِ عِلْمًا سَهل اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة..."[٩].

---

[١] النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، (سنن الكبرى للنسائي)، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١ – ١٩٩١)، رقم الحديث (١٠٣٣١)، ج٦، ص١٢٨. وَالصَّحِيح عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُرْسَلاً.
[٢] أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، (سنن أبي داود)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب الطب، حديث رقم(٤٨٤٠)، ج٤، ص٢٦١. هَذَا الحَدِيث حسن رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن مَاجَه وَالنَّسَائِيّ فِي عمل الْيَوْم وَاللَّيْلَة وَالدَّارَقُطْنِيّ وَالْبَيْهَقِيّ من رِوَايَة أبي هُرَيْرَة بِأَلْفَاظ مُخْتَلفَة وَصَححهُ ابْن حبَان وَأَبُو عوَانَة. وقَالَ أَبُو دَاوُد: رَوَاهُ يُونُسُ، وَعَقِيلٌ، وَشُعَيْبٌ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُرْسَلاً. ينظر: ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : ٨٠٤هـ)، (خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي)، المحقق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى ، ١٤٤١هـ، بَاب اسْتِحْبَاب الْخطْبَة للنِّكَاح وَمَا يُدعَى بِهِ للمتزوج، رقم الحديث (١٩٢٨)، ج٢، ص١٨٤.
[٣] الجزائري: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر، (أيسر التفاسير)، مكتبة العلوم والحكم، ط١، (١٩٩٤م)، ج٤، ص٢٢٣.
[٤] الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م)، ج٢٠، ص٤٦٣.
[٥] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(٢٥٦هـ)، (الجامع الصحيح المسمى صحيح البخاري)، دار الشعب، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ج١، ص٢٦.
[٦] ينظر: محمد حسان، (جبريل يسأل والنبيُّ يجيب)، مكتبة الفياض- مصر، ط١، (١٤٢٨- ٢٠٠٩)، ج١، ص٢٢٣.
[٧] ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(٢٧٣هـ)، (سنن ابن ماجه)، كتب حواشيه: محمودة خليل، مكتبة أبي المعاطي، كِتَابُ الْعلم، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم (٢٢٤)، ج١، ص١٥١.
[٨] أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ)، (سنن أبي داود)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة ؟، حديث رقم(٥٨٥)، ج١، ص٣٢٨.
[٩] الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري(٤٠٥هـ)، (المستدرك على الصحيحين)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، كتاب العلم، حديث رقم(٣٠٠)، ج١، ص١٦٥. وقال الحاكم هذا حديث على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

والعلم الذي فيه منفعة للناس صدقةٌ جاريةٌ لصاحبه بعد مماته، كما ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[١].

وقال الإمام النووي –رحمه الله-:" قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ عَمَل الْمَيِّت يَنْقَطِع بِمَوْتِهِ، وَيَنْقَطِع تَجَدُّد الْجَوَاب لَهُ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاء الثَّلَاثَة؛ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبهَا؛ فَإِنَّ الْوَلَد مِنْ كَسْبه، وَكَذَلِكَ الْعِلْم الَّذِي خَلَّفَهُ مِنْ تَعْلِيم أَوْ تَصْنِيف، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَة الْجَارِيَة، وَهِيَ الْوَقْف"[٢].

أقول: أنَّ لفظ العلم في الحديث عامٌ يشملُ كلَّ علمٍ فيه منفعةٌ للناس، سواءٌ هذا العلم شرعيٌ أي: متعلِقٌ بأحكام الشرع من حلالٍ وحرامٍ وواجبٍ وسنةٍ ومكروه، أو دنيويٌ كالطب والهندسة والزراعة والصناعة وغيرها من العلوم الضرورية.

المبحث الثاني: الأسباب النظرية للنجاح والتفوق في منظور الشرع

المطلب الأول: الإخلاص والنية الحسنة.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ مدح العلماء في ذمّ الجهلاء، قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر:٩. وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فاطر:٢٨. فيندرج تحت الآية الكريمة جميع أصناف العلماء والمختصين بجميع العلوم الكونية إذ لا بأس من أن يقرأ الإنسان ويتعبُ نفسه لتحصيل العلم والشهادة كي ينقذ المجتمع من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، فهو بنيته إن كان مخلصاً مع الله تعالى والناس في مهنته ويكسب رضا الله تعالى والناس وإلا فبغضب الله والناس؛ لأنه لم يتق الله في مهنته وناقض العهد والوعد مع الله تعالى والناس من أجل متاع الدنيا الزائل فمصيره يكون فاشلاً في الدنيا أي في مجتمعه، وفي الآخرة أي في يوم الحساب عند الله تعالى.

والدليل على ذلك عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ"[٣].

وهناك من يقرأ من أجل تحصيل العلم حتى يخلص من الجهل، ثم له نيّات كثيرة كلها مشروعة، مثلاً أن يحصل على شهادة من أجل أن يخدم دينه، وأهله وعشيرته ووطنه وشعبه، وأن يعيش حياة سعيدة، وأن يساعد الناس من الفقراء والمحتاجين، وأن يُيَسّر معاملات الناس، حتى إذا لم يقع كلُها فهو مأجور بهذه النّيات الحسنة، وهناك أحاديث كثيرة تكون دليلاً على ذلك منها: ما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ"[٤]. ومنها أيضاً: أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..." [٥].

المطلب الثاني: معرفة قيمة الوقت.

وكان أعظم دليل على أهمية الوقت هو أنَّ الله سبحانه وتعالى أقسم في القرآن الكريم بكثير من الأوقات من الليل، والنهار، والصبح، والعصر، والضحى، مثلاً، قال تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) الليل:١-٢. وقال تعالى: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) العصر: ١-٢. وقال تعالى: (وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) الضحى: ١-٢.

وأنَّ الوقت والفراغ نعمةٌ من الله تعالى على عباده، إذن فما على الطلاب إلا أن يستغلوا هذه الأوقاتِ بالعبادة والطاعة، وصرف الجهد والطاقات فيما يرضي الله تعالى بزيادة العلمِ والمعرفةِ والقراءة والحفظ والمطالعة وحلّ المسائل، حتى لا يكونوا من الخاسرين، كما ورد في الحديث فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ:" نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[٦].

والوقت هو الحياة، وما درى هؤلاء أن مَنْ قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه، ولكن الكثير في غفلة[٧]. اعلموا أيها الطلاب من أضاع القليل أضاع الكثير، ومن أضاع الكثير يكون من الخاسرين، ومن اهتم بالقليل اهتم بالكثير، ومن اهتم بالكثير يكون من الناجحين.

وقديماً قيل: الوقت أغلى من الذهب؛ لأنَّ الذهب يذهب ويعود، أمَّا الوقت إذا ذهب فلا يعود[٨]. لذلك قَالَ الْحَسَنُ -رحمه الله-:" لَيْسَ يَوْمٌ يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ, وَإِنِّي عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ, وَإِنِّي لَوْ قَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٩].

---

[١] مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(٢٦١هـ)، (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم)، دار الجيل، بيروت، كتاب الوصية، باب مَا يَلْحَقُ الإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم (٤٣١٠)، ج٥، ص٧٣.

[٢] النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ج٦، ص٢١.

[٣] ابن ماجه: (سنن ابن ماجه)، مصدر سابق، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاَءِ، حديث رقم (٢٥٣)، ج١، ص١٧٠. هذا الحديث أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ, وَهُوَ عِنْدَ اَلتِّرْمِذِيِّ: إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ اَلصَّحَابِيَّ.

[٤] ابن ماجه: (سنن ابن ماجه)، المصدر نفسه، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاَءِ، حديث رقم (١٣٤٤)، ج٢، ص٣٦٨.

[٥] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (١)، م١، ص٢.

[٦] البخاري: (صحيح البخاري)، المصدر نفسه، كتاب الرقائق، باب مَا جَاءَ فِي الرِّقَاقِ، وَأَنْ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ، حديث رقم (٦٤١٢)، م٨، ص١٠٩.

[٧] علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة: (الوقت وأهميته في حياة المسلم)، باب أهمية الوقت، بدون دار، وطبعة، وسنة نشر، ص١٢٧.

[٨] علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة: (الوقت وأهميته في حياة المسلم)، المصدر نفسه، باب أهمية الوقت، ص٨٤.

[٩] السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب)، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة : الثانية، ج٢/ص٣٥٣.

إذن الوقت رأس مالك أيها الطالب والطالبة وفرصةٌ ثمينة، فحاول أن تستغلها وإلا ستندم بعد فترة قصيرة ثم لا ينفع الندم، وَقَالَ بعض البلغاء:" مَنْ أَمْضَى يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ قَضَاهُ، أَوْ فَرْضٍ أَدَّاهُ، أَوْ مَجْدٍ بَنَاهُ أَوْ حَمْدٍ حَصَّلَهُ، أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ"[١].

المطلب الثالث: التزين بالتقوى من الله تعالى.

لا شك أنَّ التقوى من أكبر أسباب العون والنصر، والعلم والحكمة، والتوسعة في الرزق، وتسهيل الأمور في الدنيا، والتوفيق في الآخرة، ونيل الرحمة والمغفرة من الله تعالى، وقبول الأعمال الصالحة، والخروج من الشدائد والكروبات، والحصول على حسن الخاتمة، والفوز برياض الجنة في قبره، والنجاة من النار، والفوز بالجنة وغيرها من الأمور.

وهناك عدَّة تعاريف للتقوى ذكرها العلماء نذكر اثنين منها وهما:

قال طلق بن حبيب:" التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله"[٢]. بمعنى أنَّ التقوى هو الامتثال لأمر الله تعالى فيما أمر به، والابتعاد عن جميع المحرمات التي نهى الله تعالى عنه.

وقال ابن المعتز في تعريف التقوى:" خلِّ الذنوب صغيرَها وكبيرَها ذاك التقى، واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى، لا تحقرن صغيرةً إنَّ الجبال من الحصى"[٣].

المتقون لهم بشارات كثيرة وعديدة في القرآن الكريم، ومن أهم هذه البشارات منها:

أولاً: العون والنصرة: قال تعالى: (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)آل عمران:١٢٥. إنَّ الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر في يوم بدر بشرط إن صبرتم في المعركة، واتقيتم الله وأطعتم أمره.

ثانياً: العلم والحكمة: قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)البقرة:٢٨٢. وهذا ما يسمى بالعلم اللَّدني أي أنَّ الله تعالى يعلِّمُ عبده العلم بسبب تقواه وخوفه من الله تعالى.

ثالثاً: التوسعة في الرزق: (.. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ..) الطلاق:٢-٣. أي أنَّ التقوى شرطٌ لتفريج الكربات والمضائق، وسببٌ لزيادة الرزق الحلال من جلبه إليه من حيث لم يكن بحسبانه.

رابعاً: تسهيل الأمور: قال تعالى: (.. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) الطلاق:٤. كذلك أنَّ الله تعالى جعل التقوى سبباً لتسهيل أموره في هذه الدنيا، أي كلَّما تعسَّر عليه في أمرٍ ما فالله تعالى يجعل له في ذلك الأمر تسهيلاً.

خامساً: مغفرة الذنوب: قال تعالى: (.. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) الطلاق:٥. كذلك أنَّ الله تعالى جعل التقوى سبباً لمغفرة الذنوب والسَّيئاتِ في الدنيا وأجرٍ عظيم في الآخرة، يعني بالتقوى تفوز في الدارين.

المطلب الرابع: التوكل على الله تعالى.

التَوَكُّلُ كما عرَّفها الجرجاني -رحمه الله-:"هو الثِّقَةُ بِمَا عِنْدَ اللهِ، وَالإِيَاسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ"[٤]. فالله سبحانه وتعالى أحبَّ المتوكلين الذين يتوكلون على الله تعالى بعد أخذ الأسباب، ووعدهم بأنه تعالى حسبهم في ذلك الأمر كما قال تعالى: (... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران:١٥٩. وقال تعالى: (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...) الطلاق:٣.

والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، يعني قراءتك وحفظك ومطالعتك وصرف الطاقات والسَّهَر من أجل تحصيل العلم كلُّها أسباب للنجاح، ثم بعد هذه كلِّها تتوكَّل على الله الرحمنِ الرحيم، كما ورد في الحديث أنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ - يعني ناقته - قَالَ: " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ "[٥] .

إذن لا يجوز أن تتوكل على الله سبحانه بدون أخذ الأسباب وهذا ما يسمى بالتواكل: وهو ضد التوكل، ففيه كسل وخمول وعدم جد، أي: بأن تقول: لا أقرأ أبداً ولا أفتح الكتاب، فقط أتوكَّل على الله، إن شاء الله سأنجح، هذا مخالف للشرع تماماً. والأدلة على ذلك كثيرة ومنها على سبيل المثال:

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:" كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ، وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}"[٦].

وأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَقِيَ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ؛ فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ:" أَنْتُمُ الْمُتَوَاكِلُونَ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الأَرْضِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[٧].

"ورأى أحد الأئمة فقيراً ينطلق إلى الحجِّ دون زاد، فسأله أين زادك؟ فقال: أنا متوكِّل على الله. فقال له: أمسافر أنت وحدك؟ قال: بل مع القافلة؟ فقال له: أنت متوكِّل على القافلة"[٨].

---

[١] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠هـ)، (أدب الدنيا والدين)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م). ج١، ص٥٧.

[٢] المراغي: أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (تفسير المراغي)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م)، ج٢١، ص١٢٤.

[٣] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق، البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، ج١٠، ص١٦٢.

[٤] ينظر: الجرجاني: (التعريفات)، مصدر سابق، ص٧٠.

[٥] الترمذي: (سنن الترمذي)، مصدر سابق، رقم الحديث(٢٥١٧)، ج٤، ص٦٦٨. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني : حسن.

[٦] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب الحج، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}، حديث رقم (١٥٢٣)، م٢، ص١٦٥.

[٧] ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، (جامع العلوم والحكم)، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨ه)، ج١، ص٤٤١.

[٨] أبو عزيز: سعد يوسف محمود، (موسوعة الأخلاق الإسلامية)، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، ج٢، ص١٠٨.

المطلب الخامس: الفطنة والذكاء في الدراسة.

الفطنة مصدر فَطِنَ، وهو ضد الغباوة قال ابن فارس:" الفاء والطاء والنون كلمةٌ واحدةٌ تدل على ذكاء وعلم بشيء. يقال: رجلٌ فَطِنٌ وفَطُنٌ، وهي الفِطْنَة والفَطَانة"[١].

وجاء في المعجم الوسيط:" الفطانة قُوَّة استعداد الذِّهْن لإدراك مَا يرد عَلَيْهِ، (الفطنة) الفطانة والحذق والمهارة"[٢].

والفطنة من أهمِّ الأسباب لذا يجب على الطالب أن يكون حاذقاً ذكياً فاهماً وليس بليداً، أي متنبّهاً لدراسته التي تقصدُ معرفتها، وأن يكون ذا استعدادٍ تامٍ لإدراك العلوم والمعارف بفكره، وفاهماً لما يقرأه ويحفظهُ، وبذلك يسهلُ عليه ما يريد أن يتعلَّمهُ، فالطالب إذا لم يكن عنده ذكاءٌ لا يحصل العلم أبداً، كما ورد عن سلفنا الصالح، الذي يطلب العلم يجب أن يكون ذكياً فاهماً حريصاً مجتهداً بليغاً متعلقاً بشيخه ومستمراً في طلبه.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الدِّينَوَرِيَّ الْحَنْبَلِيَّ تِلْمِيذَ أَبِي الْخَطَّابِ الْمُتَوَفَّى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ أَنْشَدَنِي :"

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ** سَأُنْبِيكَ عَنْ مَكْنُونِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ ** وَإِرْشَادِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ"[٣].

والفطنةُ من وجوب صفات الأنبياء -عليهم السلام-، اذاً من الضروري أن يتَّصف الحاكم بهذه الصفة حتى يصيبَ في حكمه ولا يخطئ، وهذا نفهم من هذه القصة التي وردت في الصحيح، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلاَمٌ وَقَالَ الآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا"[٤].

فهذا الرجل الذي حكم بين الخصمين كان عنده الفطنة والذكاء والفهم، وإلا لما استطاع أن يحكم بهذا الحكم، لذلك إذا كانت الفطنة مطلوبةً لعامة الناس رجالاً ونساءً، فعلى الحاكم أن يتَّصف بها من أجل الإصابة في الحكم ولا يخطئ بقدر الاستطاعة، وأقول: فكما أن الحاكم يجب أن يكون فطناً ذكياً كذلك يجب على الطالب أن يكون فطناً ذكياً فاهماً حتى ينجح في دراسته ولا يفشل، فالطالب البليد لا يفهم العلم ولا يدركه، إذن هذه الصفة واجبة للطلاب كما هي واجبة للحكام والله أعلم.

المبحث الثالث: الأسباب العملية للنجاح والتفوق في منظور الشرع

المطلب الأول: الاجتهاد وصرف الطاقات.

الاجتهاد مصدر من الجِدّ وهو ضد الهزل، وقال الرازي:" الجِدُّ بالكسر ضد الهزل، تقول منه جَدّ في الأمر يجد ويجد، وأجَدَّ أي عظم والجِدُّ أيضا الاجتهاد في الأمر"[٥].

وإنَّ الله تعالى أمرنا في كثير من الآيات القرآنية بالمجاهدة وصرف الطاقات طلباً لمرضاته سبحانه، فقال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت:٦٩. قال الشوكاني –رحمه الله-:" أي جاهدوا في شأن الله لطلب مرضاته ورجاء ما عنده من الخير لنهدينهم سبلنا، أي الطريق الموصل إلينا، وإن الله تعالى لمع المحسنين الصالحين بالنصر والعون والفلاح، ومن كان معه لم يخذل"[٦].

وأمر النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-، المؤمنين عامة وخاصةً أهل العلم والمعرفة، بأن يكونوا متقِنين في أعمالهم ولا يتكاسلوا، واعلموا أيها الطلاب والطالبات أنَّ عملكم يحتاج إلى الإتقان أكثر حتى تنجحوا من عقبات الامتحانات، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ"[٧].

لو نظرنا إلى اجتهاد بعضٍ من السلف الصالح من هذه الأمة، كصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مثل: أبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس -رضي الله عنهم-، في طلب العلم والمعرفة، وحرصهم على حفظ القرآن والتفسير والحديث، لوجدنا في ذلك العجب، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابنُ مَسْعُود:" وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرَهُ ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِلاَّ وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لأَتَيْتُهُ"[٨].

هناك كثير من الأئمة حفظوا القرآن وأعمارهم أقل من عشر سنوات منهم، الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) -رحمه الله تعالى- يقول عن نفسه:" حفظت القرآن وأنا ابنُ سَبْعِ سنين، وحفظتُ الموطَّأ وأنا ابنُ عشرِ سنين"[٩]. وله أبياتٌ شعرية كثيرة في طلب العلم بالجِدّ والاجتهاد، والذهاب في الأسفار من أجل زيادة العلم والمعرفة، منها: وقال رحمه الله:

---

[١] ابن فارس: (معجم مقاييس اللغة)، مصدر سابق، (مادة: فطن)، ج٤، ص٥١٠.

[٢] مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (المعجم الوسيط)، الناشر: دار الدعوة، ط٢، ٢٠٠٠م، (مادة فطن)، ج٢، ٦٩٥.

[٣] ابن مفلح: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، (الآداب الشرعية)، المحقق : شعيب الأرناؤوط + عمر القيام، دار النشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع: (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، ج١، ص٢٣٦.

[٤] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، (٥٣-بابٌ)، حديث رقم (٣٤٧٢)، م٤، ص٣١٢.

[٥] الرازي: (مختار الصحاح)، مصدر سابق، (باب الجيم) ج١، ص١١٩.

[٦] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٤ه)، ج٥، ص٤٥٥.

[٧] أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، (مسند أبي يعلى)، تحقيق : حسين سليم أسد، الناشر : دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، رقم الحديث(٤٣٨٦)، ج٧،ص٣٤٩.

[٨] الطبري: (جامع البيان في تأويل القرآن)، مصدر سابق، ج١، ص٧٥.

[٩] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، (سير أعلام النبلاء)، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة، مناقب الإمام الشافعي،ج١٠،ص١١.

وأبيتُ سهرانَ الدُّجا وتبيتهُ ** نَوْماً وَتَبْغي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي
سَأَضْرِبُ في طُولِ الْبِلاَدِ وَعَرْضِهَا ** أنالُ مرادي أو أَموتُ غريبا
فإن تلفت نفسي فللّه درُّها ** وَإِنْ سَلِمَتْ كانَ الرُّجوعُ قَرِيباً[١].

والإمام النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله، كان يقرأ في اليوم اثنى عشر درساً من العلوم الشرعية، من التفسير والحديث والعقيدة والفقه والبلاغة والنحو والصرف وغيرها. وقيل عنه: لو قُسِّمت مؤلفاته على كراسات صغيرة، ثم قُسمت على عدد أيامه لانتهى الأيام، وتبقى تلك الكراسات من كثرة تأليفاته.

أقول: إن كلَّ إنسان لديه طاقاتٌ مخفيةٌ، أبيّنُ بمثالٍ على سبيل التوضيح، مثلاً أن رجلاً عمل في النهار عملاً شاقاً من الصباح إلى المساء، فهذا الرجل يحتاج إلى نوم أقل شيء خمس ساعات أو أكثر، فنام ساعة واحدة فقط ثم فجأة صرخ أهله وقال يا فلان: قم احترق البيت، أو مات فلان، أو يأتي صراخ من بيت جيراننا أو كذا وكذا، ماذا سيفعل هذا الرجل الذي ما نام إلا ساعة واحدة؟ مباشرة يقوم من نومه فكأنما هو نام أكثر من سبع ساعات أو أكثر، أنظر إلى هذا كيف انفجرت هذه الطاقات المخفية عنده؟، إذن فعليكم -أيها الطلبة- أن تُصرفها من أجل النجاح إلى الأمام دائماً.

المطلب الثاني: الصبر والتحمل على الدراسة.

الصبر هو أن تلزم نفسك بالتحمل على عقبات الدراسة إلى أن تنتهي منها، وقال ابن منظور: "وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئاً فقد صَبَرَه"[٢]. أيها الطلاب أنَّ العلم يحتاج إلى الصبر والتحمل وإلا ستكون قليل البضاعة، والصبرُ من أعظم أسباب النجاح في الدراسة، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) آل عمران:٢٠٠. قال وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآية:" إن الله تعالى خاطب المؤمنين بوصية جامعة يوصي الله فيها المؤمنين أن يصبروا على تكاليف الدين، وعلى ما يتعرضون له من مصائب وشدائد، وعليهم أن يصابروا الكفار ويغلبوهم في الصبر، وواجبهم أن يرابطوا في الثغور أي الاستعداد للقاء الأعداء في المواضع الاستراتيجية، وأن يخافوا الله ويحذروه ويراقبوه في السر والعلن ليفلحوا ويفوزوا، هذا هو جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين وبيان سبب الجزاء لكلا الفريقين"[٣].

وفي هذه الآية الكريمة أنَّ الله تعالى خاطب المؤمنين بأن يكونوا صابرين على مشقة الجهاد في سبيله، ولكن الآية شاملةٌ جامعةٌ تشمل كلَّ الصعوبات والعقبات التي تواجه المؤمنين في حياتهم، كالصبر على الدين وتكاليفه، والصبر على الفقر وضيق المعيشة، وعلى البلاء والمصائب، وعلى المرض والموت وفقد الأولاد والآباء والأمهات، وعلى تحصيل العلم وزيادته، وعلى الدراسة المدرسية أو الجامعية، وعلى جفاء المعلم والشيخ، فجميعها تحتاج إلى الصبر والتحمل حتى يفوزوا في الدنيا بالنصر، وفي الآخرة بالثواب والجنة، لذلك أنَّ النبيَّ -صلى الله عيه وسلم-، حثَّنا على الصبر والتحمُّلِ في هذه الدنيا، ومن صبر يثبّتُهُ الله تعالى وما يعط الله أحداً عطاءً خيراً وأفضل من الصبر، كما ورد في الحديث، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"[٤].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

بقدرِ الكَدِّ تُكتسَبُ المعالي ** ومَنْ طَلَبَ العُلا سَهَّرَ الليالي[٥].
اصبر على مرِّ الجفا من معلمٍ ** فإنَّ رسوبَ العلمِ في نفراتهِ
ومنْ لم يذق مرَّ التعلمِ ساعةً ** تجرَّع ذُلَّ الجهل طولَ حياته
ومن فاتهُ التَّعليمُ وقتَ شبابهِ ** فكبِّر عليه أربعاً لوفاته
وَذَاتُ الْفَتَى واللَّهِ بالْعِلْمِ وَالتُّقَى ** إذا لم يكونا لا اعتبار لذاتهِ[٦].

المطلب الثالث: المسابقة في تحصيل العلم.

لو نطرح سؤالاً ونقول: هل المنافسة جائزة في العبادات والأعمال الصالحة التي يتقرَّبُ بها إلى الله تعالى، **الجواب:** نعم، والدليل على ذلك أنَّ الله تعالى أمرنا بذلك في كثير من الآيات القرآنية، أمرنا مرةً بالمسابقة، ومرةً بالمسارعة، ومرةً بالمنافسة، ومن هذه الآيات، قوله تعالى:(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) البقرة:١٤٨. وقوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)آل عمران:١٣٣. وقوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) المطففين: ٢٢-٢٦.

وكما وجدنا المسابقة في الأعمال الخيرية في القرآن الكريم، أيضاً نجدها في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، فها هو الصحابيُّ الجليل أبو هريرة -رضي الله عنه-، كان سباقاً وحريصاً على الاهتمام بحفظ الحديث ويسابق أقرانه في ذلك بشهادة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْ نَفْسِهِ"[٧]. وهذا الحديث دليلٌ واضح في المنافسة في طلب العلوم الشرعية التي تقرّبُك إلى الله تعالى، فكذلك تجوز في كل الأعمال الخيرية والمباحة، ولا شكَّ أنَّ عمل

---

[١] الشافعي: أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ)، (ديوان الإمام الشافعي)، تقديم وتعليق إسماعيل العقباوي، شارع جوهر-الدراسة-القاهرة، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)،ص٣٠.

[٢] ابن منظور: (لسان العرب)، مصدر سابق، (مادة: صبر) ج٤، ص٤٣٧.

[٣] الزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير الوسيط)، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى، (١٤٢٢ هـ)، ج٢،ص١٨٣٤.

[٤] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٦٩)، م٢، ص١٥١.

[٥] الشافعي: (ديوان الإمام الشافعي)، مصدر سابق،ص٩٠.

[٦] الشافعي: (ديوان الإمام الشافعي)، المصدر نفسه،ص٣٦.

[٧] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث رقم (٩٩)، م١، ص٣٦.

الطلاب خيرٌ وهو طلب زيادة العلم والمعرفة، ونؤكد بأن هذه المنافسة تجوز بشرط أن لا تكون دافعها الحسد والبغضاء فهذا غير جائزٍ شرعاً.

المطلب الرابع: علُوُّ الهمة والإرادة.

لو سألنا ما هي أعظم همة في الدنيا؟ هل المال والغِنى، أم المناصب العالية، أم الأملاك والأراضي والقصور، أم الزوجة والأولاد، أم الأكل والشرب والنوم والمسكن، الجواب: لا هذا ولا ذاك، فإنَّ أعظم همة هي أن ترضى ربك، وان تريد وتطلب ما عنده من الثواب العظيم ألا وهي الجَنَّة، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- أمرنا حينما نسأل الجنَّة أن نسأل الفردوس؛ لأنها أعلى الجنان وأوسطُها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" ... إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"[١].

لذلك أنَّ الصحابة -رضي الله عنهم-، همتهم عالية فدائماً يسألون الجنة، يجاهدون وينافسون، ويفعلون ويعملون من أجل نيل رضا الله تعالى عنهم، ومن أجل دخول الجنان، سنقف على مثالين:

أولاً: همَّة الرجل الذي تقدَّم في الجهاد في سبيل الله تعالى، لما عرف أنه بعد الاستشهاد يدخل الجنة فما تأخر في ذلك وقاتل حتى استشهد، وَعَنْ عَمْرِو سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:" قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا قَالَ فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ"[٢].

ثانياً: همَّة الصحابيِّ الجليل ربيعة بن كعب -رضي الله عنه-، حينما استيقظ في الليل للقيام وصلاة التهجد مع النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وجاءهُ بوَضوئه وحاجته ففرح النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بخدمته له في هذه الساعة، فالنبيُّ -صلى الله عليه وسلم- سأله عن حاجةٍ له، فسأل الجنة فقط وما سأل الدنيا وما فيها من المتاع؟، لأن متاع الدنيا زائلٌ والآخرة خيرٌ وأبقى كما ورد في الحديث، وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ -رضي الله عنه-: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « سَلْ ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ. قَالَ « أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ ». قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ « فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٣].

أنظروا إلى العالم الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني قال لغلامه:" يا غلام، لا يكن همك ما تأكلُ وما تشربُ، وما تلبسُ وما تنكحُ، وما تسكنُ وما تجمعُ، كل هذا همُّ النفس والطبع، فأين همُّ القلب؟ فليكن هَمُّكَ ربَّك عزَّ وجلَّ وما عنده"[٤].

أيها الطالب، فليكن همُّكَ هو أن تكون ذا همةٍ عالية في دراستك وقراءتك وحفظك، وأن تقول في نفسك: أنا أقرأ لمعدَّل أكثر من تسعين، ولا أرضى بأقل من تسعين، وهذا لا يُنالُ براحة الجسد، ولكن يُنالُ ذلك النجاح -إن شاء الله- والمثابرة والمجاهدة، وبكثرة القراءة وتكرار المادة أكثر من مرة، كما ورد في تفسير الآلوسي:" همة الرِّجال تَقْلُعُ الجِبال"[٥].

وقد كان شعار سَلَفنا الصالح هو(مع المحبرةِ حتَّى المقبرة)، هذه المقولة أسند إلى الإمام أحمد إما أهل السنة، قال صالح: رأى رجل مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين؛ فقال:" مع المحبرة إلى المقبرة"[٦].

وجاء في الحِكمةِ: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) [٧].

وقال عبد الله بن بشر:" أرجو أن يأتيني أمري (أي الموت) والمحبَرةُ بين يديَّ"[٨].

وإذا رأى سهْلُ التستري أصحاب الحديث يقول لهم:" اجتهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابرُ"[٩].

هذه بعضُ أحوال وأقوال أصحابُ الهِمَم فاسلك طريقهم، واستعن بالله ولا تعجز، فليكن شعارك دائماً وأبداً كما قال أصحاب الهمَّةِ العالية: (وَمَنْ لا يحبُّ صُعُودَ الجبالِ ** يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بينَ الحُفَرْ) [١٠].

المطلب الخامس: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

الدعاء من الله تعالى مع الخوف منه والتضرع إليه جزءٌ من العبادة التي أمرنا الله بها، وهو غاية العبودية لله تعالى وحده والافتقار إليه، وقال الطِّيبي –رحمه الله-:" الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[١١].

وقال وهبة الزحيلي –رحمه الله:" الدّعاء مخّ العبادة، ودليل الإخلاص وحبّ الله تعالى، وصدق التّوجه إليه، يحتاج إليه كل مؤمن في كل حال، تتردّد به شفاه المكروب والحزين، ويلجأ إليه المريض المتألّم، ويلوذ إليه الخائف المضطرب، ويضرع به المسافر، ويستعين به للتّغلّب على العدو، والتّخلص من وساوس الشيطان، ويستمتع به المتنعّم لطلب رضوان الله، والخلود في جنان النّعيم، والاستعاذة من العذاب الأليم. فهو سلوة المكروب، ورجاء الطامع، وأمل الصّالح، ولا يستغني عنه حتى النّبي

---

[١] البخاري: (صحيح البخاري)، المصدر نفسه، كتاب التوحيد، باب وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، حديث رقم (٧٤٢٣)، م٩، ص١٥٣.

[٢] البخاري: (صحيح البخاري)، المصدر نفسه، كتاب المغازي، باب غَزْوَةِ أُحُدٍ، حديث رقم (٤٠٤٦)، م٥، ص١٢١.

[٣] مسلم: (صحيح مسلم)، مصدر سابق، كتاب الصلاة، باب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، حديث رقم (١١٢٢)، ج٢، ص٥٢.

[٤] محمد موسى الشريف: (الهمة طريق إلى القمة)، دار الأندلس الخضراء، السعودية – جدة، ط٥، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص٢٤.

[٥] الآلوسي: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، تحقيق : على عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ، ج٣، ص٣٦.

[٦] الرئاسة العامة لإدارات البحوث: (مجلة البحوث الإسلامية) - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج٢، ص٢٠٢.

[٧] البروسي: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي(١١٣٧هـ)، (روح البيان)، دار إحياء التراث العربي، ج٥، ص٢١١.

[٨] ينظر: أبو عزيز: (موسوعة الأخلاق الإسلامية)، مصدر سابق، ج١، ص٢١٦.

[٩] ينظر: أبو عزيز: (موسوعة الأخلاق الإسلامية)، المصدر السابق، ج١، ص٢١٦.

[١٠] أبي القاسم الشابي: (ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله)، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، ج١، ص٢١٦.

[١١] العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر(٨٥٢هـ)، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، كتاب الدعوات، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ)، ج١١، ص٩٥.

المرسل"[١]. ولا شكَّ أنَّ الدعاء والتضرع إلى الله تعالى سبب من أسباب زيادة العلم والمعرفة بعد الجهد والاجتهاد وصرف الطاقات، لأن الله تعالى وعد الذين جاهدوا في سبيله وأتعبوا أنفسهم في مرضاته أن يفتح عليهم أبواب الهداية والخير والمعرفة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)العنكبوت:٦٩.

فمن عظيم بركة الدعاء أنَّ كثيراً من الأنبياء والمرسلين دعوا الله سبحانه وتعالى طلباً لزيادة العلم والمعرفة والحكمة، وصدق لسانهم، وشرح صدورهم، وتيسير امورهم، فالله تعالى أمر سيّدَ الأنبياء محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يطلب منه زيادة العلم قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه:١١٤.

وعبّر إبراهيم الخليل عليه السّلام في دعائه عن حرارة الشّوق إلى الله، وإمداده بفضل الله ورحمته في الدنيا والآخرة، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) الشعراء:٨٣.

ولما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون، وعلم أنها بدء الرسالة، وفهم قدر التكليف، فدعا الله لمعونته، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي) طه:٢٥-٢٨.

وأنّ هناك آداباً كثيرةً لاستجابة الدعاء فعلى الطلاب أن يعرفوها حتى يكونوا مستجابةَ الدعوة، وهذه الآداب بعضها متعلقة بالأوقات والأماكن المباركة، وبعضها متعلقة بالأحوال وهي: يوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة القدر، وليلة الجمعة ويومها، ووقت السَّحر، وعند نزول المطر، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وعند رؤية الكعبة، وحال السجود، وحال السفر، ودعوة الآباء للأولاد، وأن يدعو مستقبل القبلة رفعاً اليدين أثناء الدعاء، وخفض الصوت بين المخافتة والجهر، الإخلاص في الدعاء، واليقين بالإجابة، والإلحاح في الدعاء، والانكسار وإظهار المسكنة، والاعتراف بالذنب، والدعاء ثلاثاً ثلاثاً، وأكل الحلال، والتوبة من المعاصي، ورد المظالم، وألا يتعجل في الدعاء، وأن يفتتحَ الدعاء ويختتِمه بحمد الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عيه وسلم[٢].

ونشير إلى بعض الأدعية المختارة التي ينبغي للطالب أن يحفظها وهي:

(اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا ، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا) [٣]. (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي) [٤]. (اللَّهُمَّ ارْزُقْني فَهْمَ النَبِيّينَ، وَحِفْظَ المُرْسَلِينَ، يا مُفَهِّمَ سُلَيمانَ فهّمني، ويَا مُعَلِّمَ إبرَاهيمَ عَلِّمْني)[٥].

المطلب السادس: الابتعاد عن جميع الذنوب.

بدون شك أنَّ للمعصية آثاراً عظيمةً على شخصية الإنسان، سواء هذه الذنوب فردية أو جماعية: كترك الصلاة والصوم، وأكل الحرام، وشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والنظر إلى المحرمات أو السمع إليها، والغش في الامتحان، أو الاختلاط وخاصة في الحفلات وأثناء السفرات الجماعية ذكوراً وإناثاً، وهذه السفرات المختلطة لا تجوز شرعاً، والدليل على عدم جوازها كما ورد في الحديث، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلاَّ وَمَعَهَا مَحْرَمٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً قَالَ اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ"[٦]. ويقع جزءٌ من هذا الذنب على أولياء الطلاب والطالبات؛ لأنهم هم المسئولون عنهم، وأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا..."[٧].

سنشير إلى بعض هذه الآثار، أي آثار المعاصي وهي كالآتي:

أولاً: التعسير في الرزق، كما ورد في الحديث، فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ... وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ، بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ" [٨].

ثانياً: وحشةٌ يجدها العاصي في قلبه والتي بينه وبين الله تعالى، فلا يجد حلاوة الإيمان ولا الطاعة فدائماً عنده حرب مع نفسه.

ثالثاً: الوحشة بينه وبين الناس، والعافية تدوم بتقوى الله تعالى فمتى رأينا تكديراً في حالنا فلنتذكر ذنباً قد وقع، وقال الفضيل بن عياض –رحمه الله-:" إني لأعصي الله تعالى فأعرف ذلك في خُلُق دابتي وجاريتي"[٩].

رابعاً: إنها تزرع أمثالها، وقيل:" إنَّ من عقوبة السَّيئةِ السيئةُ بعدها، وإن من ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها"[١٠].

---

[١] الزحيلي: (التفسير الوسيط)، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٣٤.

[٢] هذه الآداب التي ذكرتها بعضها مستنبطة من القرآن الكريم وبعضها من الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٣] هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم، من رواية أنس رضي الله عنه، ينظر: ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، رقم الحديث (٩٧٤)، باب الأدعية، ج٣، ص٢٥٥.

[٤] من سورة طه: ٢٥-٢٨.

[٥] مستنبط من سورة الأنبياء: ٧٩. ومن سورة الحج: ٢٦.

[٦] البخاري: (صحيح البخاري)، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، (باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له)، حديث رقم (٣٠٠٦)، م٤، ص٧٢.

[٧] البخاري: (صحيح البخاري)، المصدر نفسه، كتاب الجمعة، (باب الجمعة في القرى والمدن)، حديث رقم (٨٩٣)، م٢، ص٦.

[٨] الحاكم: (المستدرك على الصحيحين)، مصدر سابق، (ذكر مناقب ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم(٦٠٣٨)، ج٣، ص٥٤٨. وقال الحاكم: هذا حديث الإسنادلم يخرجاه.

[٩] ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، (ذم الهوى)، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، ط٢، (٢٠٠٠م)، ص١٨٥.

[١٠] الْفَقِير إِلى عَفْوِ رَبِّه عَبدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السّلمانِ المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض (سابقًا)، (الأنوار الساطعات لآيات جامعات)، طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ مَنْ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وجْهَ اللهِ وَالدَار الآخرةَ، ج١، ص٤٤١.

خامساً: فساد العقل، فإن العقل نور، والمعصية تطفئ نور العقل، ولابد إذا أطفئ نوره ضعف ونقص، وقال بعض السلف:" ما عصي الله أحد حتى يغيب عقله"[١]. ومن ذلك قول الكافرين يوم القيامة، قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك:١٠.

سادساً: هوان العبد على الله تعالى وسقوطه من عينه، قال تعالى: (... وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ...) الحج: ١٨.

سابعاً: تدخله في لعنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنه قد لعن من العاصين آكل الربا، وشارب الخمر، والمخنثين، والمترجلات.

ثامناً: الحرمان من العلم: لا شكَّ أنَّ من آثار المعصية حرمان العبد من العلم الذي فيه منفعة الدنيا والآخرة؛ لأنَّ العِلم نورٌ من الله يقذِفه في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، وهذا واضح من قول الإمام الشافعي -رحمه الله-، حينما شكا إلى شيخه وكيع بأني لا أستطيع الحفظ مع دروسي، فقال -رحمه الله-:" (شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ** فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المعَاصي) (وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ** ونورُ الله لا يهدى لعاصي)"[٢].

(الخاتمة)

لقد توصَّلت من خلال هذا البحثِ إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في ما يلي:

أولاً: أنَّ الشرع الإسلامي قد اهتم بالعلم اهتماماً كبيراً، فقد ورد في كثير من الآيات القرآنية التي تدل على فضله، ورفعَ قدر أهله بدرجات عالية، وأمر النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-، بطلب زيادة العلم، وأول كلمة نُزلتْ من السماء هي كلمة (إقرأ).

ثانيا: فالرسول -صلى الله عليه وسلم-، قد حثَّ الأمة على طلب العلم، وأوجب على المسلمين أن يعرفوا أحكام دينهم، وذكر أن طلب العلم يُسهِّل له طريقاً إلى الجنة.

ثالثاً: أنَّ من الواجب على طالب العلم أن يُخْلِصَ نيتهُ في طلب العلم حتى يوفَّق في الدنيا ويؤجر في الآخرة، فالله تعالى يؤتي الطالب على قدر نيَّتِهِ.

رابعاً: الطالب الذي يريد النجاح عليه أن يهتمَّ بوقت فراغه؛ لأنه نعمةٌ من الله تعالى، وعليه أن يملأهُ بالحفظ والقراءة والمطالعة، وأن لا يضيّع وقته هباءً حتى لا يفشل في دراسته.

خامساً: النجاح يحصل بالمجاهدة وصرف الطاقات ليلاً ونهاراً، كما قيل: (من جدَّ وجدَ)، أي من أتعبَ نفسه في طلب العلم وجدَ حلاوته وأورثه الله علماً نافعاً.

سادساً: وأنَّ النجاح يحتاج إلى التحمُّل والصبر فكلما كان الطالب صبوراً في كسب العلم كلما كان تحصيله للعلم أكثر، لذلك على الطالب أن تعلوَ همَّتُهُ وإرادَتُه لكسب العلم حتى يكون قدوة لغيره ويُقتدى به في ذلك.

سابعاً: إنَّ العلم نورٌ لذلك على الطالب أن يكون تقياً بعيداً عن المعاصي حتى يثبتَ العلمُ في قلبه، لأنَّ الله تعالى وعد المتقين ببشارات كثيرة في القرآن الكريم.

ثامناً: ومن أسباب النجاح بعد صرف الطاقات في تحصيل العلم أن لا يحرم نفسه بالدعاء من الله تعالى بأن يسهِّل عليه دراسته ويُوفقه للنجاح، وأن يتوكل على الله حقَّ توكله؛ لأن الله تعالى أحبَّ المتوكلين وهو حسيبهم.

وأخيراً أوصي جميع الناس وخصوصاً الطلاب والطالبات بأن يرفعوا همَّتهم وإرادتهم، وأن يهتموا بدروسهم وواجباتهم اليومية، وخاصةً في هذه الظروف الصعبة التي نعيش فيها من عدم الاهتمام بالعلم والمعرفة، وهماك بعضاً من الطلاب والطالبات ليست عندهم همّةٌ وإرادة في كسب العلم والمعرفة، فقط همهم الجمال الظاهري، ويفكرون كيف يُصرفون وجوه الناس إليهم؟ فهم غالباً يهتمون بالسفرات المختلِطة، وأكثرهم منشغلون باللهو ولعب البوبجي في الموبايل -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وبكلِّ وقاحةٍ هؤلاء يريدون التخرج للحصول على الشهادة بحقٍ أم بغير حق، ويتخرجون وليس عندهم علم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. "وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم(٢٥٦هـ)، **(الجامع الصحيح المسمى صحيح البخاري)**، دار الشعب، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

٢- البروسي: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي(١١٣٧هـ)، **(روح البيان)**، دار إحياء التراث العربي.

٣- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (٢٧٩هـ)، **(الجامع الصحيح سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (٢٠٠٠م).

٤- الجرجاني: علي بن محمد بن علي(٨١٦هـ)، **(التعريفات)**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت. ط١، (١٤٠٥هـ).

٥- الجزائري: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر، **(أيسر التفاسير)**، مكتبة العلوم والحكم، ط١، (١٩٩٤م).

٦- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، **(ذم الهوى)**، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، ط٢، (٢٠٠٠م).

٧- الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري(٤٠٥هـ)، **(المستدرك على الصحيحين)**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

٨- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ)، **(سنن أبي داود)**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٩- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، **(سير أعلام النبلاء)**، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة.

[١] الفَقِير إلى عَفْوِ رَبِّهِ عَبدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ: (الأنوار الساطعات لآيات جامعات)، المصدر نفسه، ج١، ص٤٤١.

[٢] الشافعي: (ديوان الإمام الشافعي)، مصدر سابق، ص٦١.

١٠- الرئاسة العامة لإدارات البحوث: (**مجلة البحوث الإسلامية**) - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١١- ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، (**جامع العلوم والحكم**)، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨ه).
١٢- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، (**مختار الصحاح**)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٣،(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
١٣- الزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (**التفسير الوسيط**)، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى، (١٤٢٢ هـ).
١٤- السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (**غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**)، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة : الثانية.
١٥- السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (٣٦٧هـ)، (**بحر العلوم**)، تحقيق: د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
١٦- الشافعي: أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ)، (**ديوان الإمام الشافعي**)، تقديم وتعليق إسماعيل العقباوي، شارع جوهر-الدراسة- القاهرة، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
١٧- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (**فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير**)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٤ه).
١٨- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ)، (**جامع البيان في تأويل القرآن**)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م).
١٩- عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم**)، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة، الطبعة: الرابعة.
٢٠- ابن العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، (**كتاب العلم**)، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢١- العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر(٨٥٢هـ)، (**فتح الباري شرح صحيح البخاري**)، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ).
٢٢- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١،(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
٢٣- علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة: (**الوقت وأهميته في حياة المسلم**)، بدون دار، وطبعة، وسنة نشر.
٢٤- أبو عمار محمود المصري: (**موسوعة الحقوق الإسلامية**)، القاهرة - مكتبة الصفا،ط١،(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٢٥- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى:٥٠٥هـ)، (**إحياء علوم الدين**)، الناشر:دار المعرفة – بيروت.
٢٦- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (**معجم مقاييس اللغة**)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، سنة الطبعة: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٢٧- الفَقِير إِلى عَفْوِ رَبِّهِ عَبدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السّلمانِ المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض (سابقًا)، (**الأنوار الساطعات لآيات جامعات**)، طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ مَنْ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وجْهَ اللهِ وَالدَار الآخرةَ.
٢٨- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري(٧٧٠هـ)، (**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**)، دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٩- أبي القاسم الشابي: (**ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله**)، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).
٣٠- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، (**الجامع لأحكام القرآن**)، تحقيق، البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).
٣١- ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**)، تحقيق : محمد حامد الفقي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، (١٣٩٣ – ١٩٧٣).
٣٢- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(٢٧٣هـ)، (**سنن ابن ماجه**)، كتب حواشيه: محمودة خليل، مكتبة أبي المعاطي.
٣٣- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠هـ)، (**أدب الدنيا والدين**)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
٣٤- المراغي: أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (**تفسير المراغي**)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م).
٣٥- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (**المعجم الوسيط**)، الناشر: دار الدعوة، ط٢، (٢٠٠٠م).
٣٦- محمد حسان، (**جبريل يسأل والنبيُّ يجيب**)، مكتبة الفياض- مصر، ط١، (١٤٢٨- ٢٠٠٩).
٣٧- محمد موسى الشريف: (**الهمة طريق إلى القمة**)، دار الأندلس الخضراء، السعودية – جدة، ط٥، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
٣٨- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(٢٦١هـ)، (**الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**)، دار الجيل- بيروت.
٣٩- ابن مفلح: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، (**الآداب الشرعية**)، المحقق : شعيب الأرناؤوط + عمر القيام، دار النشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع: (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).

٤٠- ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى : ٨٠٤هـ)، **(خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي)**، المحقق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى ، ١٤٤١.
٤١- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي(٧١١هـ)، **(لسان العرب)**، دار صادر- بيروت.
٤٢- النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، **(سنن الكبرى للنسائي)**، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، (١٤١١ – ١٩٩١).
٤٣- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، **(المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
٤٤- أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، **(مسند أبي يعلى)**، تحقيق : حسين سليم أسد، الناشر : دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

الملخص

الحمد لله الذي نوَّر عقولنا بأنوار القرآن الكريم، والصلاة والسلام على الذي أمره الله تعالى بطلب زيادة العلم.
وبعد:

ففي هذا البحث دراسة لأهم أسباب النجاح والتفوق في الدراسة وخاصة (الدراسة الجامعية)، في منظور الشرع الإسلامي، فالله سبحانه وتعالى رحيمٌ بعباده فيرحمته الواسعة يُنزلُ عليهم أنوار العلم والمعرفة، ويفتح لهم أبوابَ الخير وسبلَ الهداية، خاصةً للذين جاهدوا في مرضاته وفي كلِّ خيرٍ، لأن الله تعالى أحبَّ المؤمنين وخاصة الأقوياء منهم والذين يتقنون في أعمالهم، لذا فمن الواجب على كلِّ مؤمنٍ أن يكون حريصاً على ما فيه منفعةٌ في الدنيا والآخرة، ولا شكَّ أنَّ العلم وطلبَهُ شرفٌ لكلِّ مؤمنٍ حتى يكونَ على علمٍ ومعرفةٍ في أمور دينه ولا يكونَ جاهلاً به، ومن شرفه أنَّ الخروج إلى طلب العلم نوعٌ من الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن شرفه أنَّ الله تعالى سمىَّ نفسه عليماً، وأمر النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوه بطلب زيادة العلم والمعرفة، بقوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه:١١٤. فيا له من شرف فما أمره بطلب زيادة المال والأملاك، ولا الأهل والأولاد، ولا الجاه والمناصب، وإنما فقط الدعاء لطلب زيادة العلم فبه عز الدنيا والآخرة.

وأنَّ النجاح والتفوق يحتاجان إلى بعض الأسباب التي تجعلك ناجحاً ومتفوقاً في حياتك وهذه الأسباب هي: النيةُ الحسنة، والتمسكُ بقيمة الوقت، والتجملُ بالصبر والتحملُ على الدراسة، وعلوُّ الهمة والإرادة، والمسابقةُ والمنافسةُ في تحصيل العلم، وزيادةُ الإيمان والتقوى بالعمل الصالح، والاستمرارُ في الدعاء والتضرعُ للفوز والنجاح، والتفاؤلُ والشعورُ بالنجاح، والشجاعةُ والقوةُ والثقةُ بالنفس، والتوكلُ على الله تعالى بعد صرف الجهد والطاقات، وغيرها من أسباب النجاح.

الكلمات المفتاحية: السبل والطرق- النجاح والتفوق - الدراسة الجامعي – المنظور الشرعي

ABSTRACT

Praise be to God, and blessings and peace be upon the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and after:

In this research, a study of the most important reasons for success and excellence in study, especially (university study), from an Islamic prospective, God Almighty is merciful to His servants, so with his broad mercy, he gives them the lights of science and knowledge, and opens the doors of goodness and ways of guidance, especially for those who strive to please Him and in all good deeds. Because God Almighty loves the believers, especially those who are strong and those who are good at their work, so it is incumbent upon every believer to be keen on what is beneficial in this world and the hereafter, and that success and excellence needs some reasons that make you successful and superior in your life and these reasons are: Good intention, Adherence to the value of time, endurance of patience, endurance of study, height of vigor and will, racing and competition in acquiring knowledge, increasing faith and piety in good deeds, continuing to pray and supplication to win and succeed, optimism and feeling of success, courage, strength, self-confidence, and trust in God Almighty , And other reasons for success.

Keywords: university study, Islamic prospective, reasons for success and excellence in study.